

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي
الْأَرْضِ كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ
الَّذِي ءَارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا
يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُم
الْفَاسِقُونَ

بذور التمكين

المحاضرات

محاضرة في الأردن

2024-01-01

عمان

الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

الوعد بالتمكين حتمي الوقوع بشروط:

فيا أيها الإخوة الأحباب؛ كما أسلفنا في اللقاء السابق فإن التمكين للمؤمنين في الأرض وعد من الله تعالى، ووعد الله تعالى لا يُخلف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْحَبَنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوَفُّونَ (60)

(سورة الروم)

هذا الوعد بالتمكين حتمي الوقوع لكن أسبابه قد أمرنا بها، نحن لم نُؤمر أمرًا مباشرًا بأن نُمكن في الأرض لأن هذا وعد من الله، لكننا أمرنا أن نقدم الأسباب التي تجعلنا مؤهلين ليُمكن الله لنا في الأرض، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ءَارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55)

وفي هذا إشارة إلى أن هذا قانون الهي (كما سَنخَلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أي لنظر كيف استخلف من قبلك حتى تُستخلف كما استخلفوا، (وَلَيْمَكُنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ لَأَيُّ رِزْقِي لَهُمْ) أي دين وعد بتمكينه؟ لأن كل إنسان يقول: أنا على دين، لكن قال: (لَأَيُّ رِزْقِي لَهُمْ) فإن لم يُمكن لنا في الأرض يوماً فمعنى ذلك أن التدين الذي نحن عليه أو أن فهمنا للدين الذي نحن عليه لم يرتضه الله لنا (وَلَيْمَكُنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ لَأَيُّ رِزْقِي لَهُمْ وَلَيَبَدَّلْتَهُمْ مَنْ يَبْعُدُ خَوْفَهُمْ مِنْكُمْ أَهْلًا) فهذه وعود ثلاث؛ وعد بالاستخلاف، ووعد بالتمكين في الأرض، ووعد بالأمن (وَلَيَبَدَّلْتَهُمْ مَنْ يَبْعُدُ خَوْفَهُمْ مِنْكُمْ أَهْلًا) ثم جاء تذييل الآية بقوله تعالى: (يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) وكان الله تعالى يقول لك: إن هذه الوعود مرتبطة بعبادة الله تعالى وتوحيده، فإذا حقق المؤمن ما عليه من عبادة الله تعالى مع التوحيد كانت له تلك الوعود الثلاثة، وفي هذا المعنى أردف النبي -صلى الله عليه وسلم- يوماً معاذاً وقال له:

{ بَيْتَا أَتَا رَدِيفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا اجْرَهُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فُلْتُ: لَيْتَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ، فُلْتُ: لَيْتَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟ فُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فُلْتُ: لَيْتَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ؟ فُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعْبَدَهُمْ. }

(أخرجه البخاري ومسلم عن معاذ بن جبل)

ربنا له حق علينا؛ خلقنا، رزقنا، أعطانا، أكرمنا، وهبنا هبات عامة وهبات خاصة، ما حقه علينا؟ قال: (اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ) سأله ثانية وثالثة، ثم قال له: (حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) عبادة خالصة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَمْرًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُبَيِّتُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ (5)

(سورة البينة)

ثم قال له: (هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ) أي الخالق أنشأ لك حقاً عليه، الخالق العظيم أنشأ لعباده حقاً عليه، جعله حقاً، حق من حقوقك عليه، قال: (اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعْبَدَهُمْ) فإذا أيها الكرام لله حق ولنا حق، والإنسان عندما يقتضي أو يطالب بحقه دون أن يقدم ما عليه فهذا ليس أدباً، لو فعله مع إنسان ليس أدباً، إذا موظف غاب في الشهر ستة أيام، وتأخر ستة أو سبعة، وأخذ إذن خروج مبكر ستة وسبعة أيام أخرى وبعدها جاء عند المدير وقال له: أريد حقي، أريد راتبي غير منقوص، يقول له المدير: أنت ماذا قدمت؟ أنت ما الذي قدمته حتى تطالب بحقك؟! يستحي الإنسان أن يطالب بحقه إذا لم يقدم الذي عليه، فرينا -جلّ جلاله- أنشأ لنا حقاً عليه وهو العني عنا، ولو شاء لما جعل لنا حقاً لكنه الكريم جعل لنا حقاً، لكن لا يُعفل أن تطالبه بحقنا عليه في عدم العذاب في الأرض والاستخلاف والتمكين والأمن ونحن لم نقدم ما أمرنا به من عبادته وحده دون أن نشرك به شيئاً.

بذور النصر والتمكين:

أيها الإخوة الكرام؛ هذه مقدمة، الموضوع اليوم عن بذور النصر والتمكين، أحياناً الإنسان من غير أن يشعر يكون التمكن قد بدأ؛ أي ربنا -جلّ جلاله- الزمن بالنسبة له كن فيكون، نحن نقيس الأمور بالزمن فنقول: عمري كذا، بقي من الزمن كذا، أتوقع كذا لأننا مرتبطون بالزمن، لكن ربنا -جلّ جلاله- هو خالق الزمان، والدليل عندما أراد -جلّ جلاله- عطل الزمن، رحلة الإسراء والمعراج تحتاج أياماً، الإسراء يحتاج أياماً وليال، والمعراج مستحيل الحدوث أو دعنا نقول: غير ممكن الحدوث، ومع ذلك ربنا -جلّ جلاله- عطل الأزمان كلها فانتقل النبي -صلى الله عليه وسلم- بلمحة عين وعُرج به إلى السماء وعاد وفرأشه ما يزال دافئاً؛ لأن الزمن مخلوق من مخلوقات الله كما نحن مخلوق من مخلوقات الله، فإذا شاء خالق الزمن عطله ألغاه، فأحياناً نحن نعرف الزمان نقول: تأخر، تأخر ماذا؟ أنت ما النقطة التي وضعها في الزمن لتقول تأخر؟ تأخر على عمري أنا؟ أنا متوقع أن أعيش 80 سنة وما شاهدت التمكن أقول: تأخر، تأخر كيف؟ أي تأخر 80 سنة، عند ربنا -عز وجل-:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (47)

(سورة الحج)

فعند ربنا لا يوجد شيء اسمه تأخّر ولا شيء اسمه بكرٌ، عند ربنا -عزّ وجلّ- الأمور كلها كن فيكون، لذلك أيها الكرام أحيانًا بذور النصر والتمكين تبدأ دون أن نشعر؛ لأننا نحن متعلقون بالزمن أما ربنا -عزّ وجلّ- خالق الزمن، النبي -صلى الله عليه وسلم- جهّز لغزوة تبوك بالسنة التاسعة للهجرة أي بعد هجرته بتسع سنوات، أكثر من 3000 يوم جهّز لغزوة تبوك، غزوة تبوك كانت صعبة والجو حار، والعدد قليل، وعتاد المسلمين لا يوازي عتاد المشركين، غزوة صعبة، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- جهّز هذه الغزوة، فبدأ بعض المنافقين وبعض الناس يتلكؤون في نصرته، الأمور صارت مريحة نوعًا ما بالدولة الإسلامية والناس مرتاحة، بدأ البعض يتلكؤون، فخاصتهم المولى -جلّ جلاله- فقال لهم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ نَثِينٍ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنِّي لَأَنَّ لِلَّهِ مَعَنَا قَائِرٌ فَانزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السَّعْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40)

(سورة التوبة)

بلحظة كان النبي -صلى الله عليه وسلم- في الغار:

{ لو أنّ أحدَهُم تطرّ تحت قدميه لأنصرتنا، فقال: ما طئتك يا أبا بكرٍ باثنتين الله تالئهما؟! }

(أخرجه البخاري، ومسلم عن أبي بكر الصديق)

ومئة ناقة لمن يأتي به حيًّا أو ميتًا، هذه اللحظة عند عموم الناس عند أي إنسان سلوا ما هذه اللحظة؟ يقول لك: قمة الاستضعاف والضعف، بين الإسلام يكون أو لا يكون نظرة أجدهم إلى موطن قدميه، بهذه اللحظة كان التمكين قد بدأ، قال: { **إِلَّا تَنْصُرُوهُ** } يذكّرهم قبل تسع سنوات **(فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ)** متى نصره الله بيدر؟ بأحد؟ قال: { **إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ نَثِينٍ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ** } هناك كان يُمكن لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولأصحابه ولكن أكثر الناس لا يعلمون، بعد أن ترك الغار ومشى تبعه سراقه بن مالك، طمع بمئة ناقة لمن يأتي به حيًّا أو ميتًا وسراقه فارس من الفرسان المعدودين، فبدأ يجري بفرسه لعله يدركه وأدركه ولو شاء الله لما أدركه، لكن شاء الله أن يدركه، ولما نشب قوسه يريد أن يرميه به ساخت قوائمه فرسه في الرمال وجمدت يده في مكانها، أوقفه الله تعالى، الآن قال: "علمت أنك محفوظ من الله، اكتب لي كتابًا" يقول له: "يا سراقه، كيف بك إذا لبست سوارى كسرى؟" بهذه اللحظة كان التمكين قد بدأ لكن الناس لا يعلمون بأن التمكين قد بدأ، الناس ترى المشهد صعنًا جدًّا، قائد الأمة الذي يتعلق الإسلام كله به لأنه الرسول -صلى الله عليه وسلم- وينبغي أن يبلغ الدعوة قد جعل دمه هدرا، وبسير وحده وليس معه إلا أبو بكر-رضي الله عنه- وثالثهم الله -جلّ جلاله- والوضع صعن جدًّا، وبلوغ المدينة صعن جدًّا، والمشركون كثر وقد تكاثروا عليه، بهذه اللحظة الموقف موقف استضعاف لكن الحقيقة بذور تمكين، الحقيقة كانت بذور التمكين قد بدأت من هذه اللحظة فيقول له: "كيف بك يا سراقه إذا لبست سوارى كسرى؟" ما معنى هذا الكلام؟ معناه أنني سأصل إلى المدينة الموضوع محسوم، وهناك سأنشئ دولة وسأؤسس لها جيشًا وسيخوض هذا الجيش الحروب القريبة ثم البعيدة، وستصل الفتوحات إلى بلاد فارس وستأتي كنوز فارس، وسيكون لك يا سراقه تاج كسرى أو سوارا كسرى كما في الروايات، وهذا ما حصل في عهد عمر أمير المؤمنين -رضي الله عنه وأرضاه- وقال أمير المؤمنين عمر بعد أن ألبسه سوارى كسرى: "بخ بخ، أعيراني من بني مُدَلج بليس سوارى كسرى وتاجه"، كان قد جاوز المئة من عمره، وعُمر سواقة حتى لبس سوارى كسرى، المشهد بلحظة الهجرة مشهد ضعف، الحقيقة كانت حقيقة تمكين، فرنا -عزّ وجلّ- كيف يسير الأقدار لا أحد يعلم، النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في الصحيح، قال:

{ بَيْنَمَا تَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَكْتُبُ إِذْ سئَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا فَسُطْنِطِينِيَّةٌ أَوْ رُومِيَّةٌ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا يَغِيهِ فَسُطْنِطِينِيَّةٌ. }

(أخرجه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو)

وفي حديث آخر يقول صلى الله عليه وسلم:

{ لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ وَلِنَعِمَ أَمِيرُهَا وَلِنَعِمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ }

(أخرجه أحمد، والبخاري في (التاريخ الكبير))، والطبراني عن بشر الغنوي)

تحقق الفتح على يد محمد الفاتح وكان عمره 22 سنة، متى تحقق الفتح بعد هذا الحديث؟ 800 سنة أي جاءت دولة الخلافة الراشدة سيدنا أبو بكر، سيدنا عمر، سيدنا عثمان، سيدنا علي وانتهت، وجاءت فترة الحكم الأموي بسنواتها، ثم جاءت الخلافة العباسية بسنواتها، ثم جاءت حملات التتار والمغول وبما فيها من مأس، ثم جاءت الخلافة العثمانية والخليفة العثماني السابع الذي هو محمد بن مراد الثاني الذي هو محمد الفاتح فتح القسطنطينية، في اللحظة التي كان يقول فيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **(لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ)** كان جالساً في المدينة، دولة الإسلام معروفة الحجم، معروفة الحدود، معروفة الأبعاد، ما أحد يتصور كيف النبي -صلى الله عليه وسلم- يستشرف هذا المستقبل للإسلام، اللحظة لحظة تمكين لكن تمكين محدود، أما تمكين لحدود القسطنطينية؟! حسناً معنى ذلك تمكين رومية قادم التي هي روما كما يقول أكثر شراح الحديث، فإذا اللحظات التي ننظر إليها أحياناً على أنها لحظات ضعف هذه اللحظات هي لحظات التمكين نفسها لكن نظرنا القاصر واستعجالنا لا يجعلنا دائماً ندرك هذا الأمر، فُتحت القسطنطينية بعد 800 سنة، سنة 857 للهجرة أي بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- بأكثر من 008 سنة لكن فُتحت ببشارة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

يوم كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يحفر الخندق:

{ أَمَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ وَعَرَمَنْ لَنَا صَخْرَةٌ فِي مَكَانٍ مِنَ الْخَنْدَقِ لَا تَأْخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ (ما استطاعوا أن يضربوا هذه الصخرة) فَسَبَّكُوهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، فَصَرَبَ صَرَبَةً فَكَسَّرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ، وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَقَاتِيحَ السَّامِ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ فُضُوزَهَا الْخُمْرَ مِنْ مَكَائِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ وَصَرَبَ أُخْرَى فَكَسَّرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَقَاتِيحَ قَارِسَ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَائِي هَذَا ثُمَّ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ وَصَرَبَ صَرَبَةً أُخْرَى فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَقَاتِيحَ الْيَمَنِ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَائِي هَذَا }

(أخرجه أحمد، والنسائي، والبيهقي عن التَّزَاءِ بْنِ عَازِبٍ)

الآن طبقاً مشهد رسول الله-صلى الله عليه وسلم- الموحى إليه؛ الأوصاف ينظرون إليه نظرة صاحب الوحي الذي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4)

(سورة النجم)

لكن لو أن شخصاً ليس من الصحابة الكرام ينظر إلى المشهد، أحد المنافقين قال في الخندق: "أبعدنا صاحبكم أن تُفتح علينا بلاد كسرى وقبصر وأحدنا لا يأمن أن يقضي حاجته"، نحن غير قادرين على الذهاب للحمام، ما زلتهم تقولون: كسرى وقبصر.. فُتحت..!!، المظهر مظهر استضعاف شديد مظهر عجز عند غير المؤمن، النبي -صلى الله عليه وسلم- يستشرف المستقبل طبقاً بوحى من الله تعالى، لكن أيضاً يوجد تفاؤل بنصر الله -عز وجل-، فقال: **(اللَّهُ أَكْبَرُ! أُعْطِيتُ مَقَاتِيحَ السَّامِ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأُبْصِرُ فُضُوزَهَا الْخُمْرَ مِنْ مَكَائِي هَذَا)** يرى بعينه -صلى الله عليه وسلم- لا يخبر بسميع، يخبر برأى لأنه وعد الله، وعد الله ليس فيه سمع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6)

(سورة الفجر)

ما رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- كيف فعل ربه بعاد؛ سمع، لكن قال له تعالى: **(أَلَمْ تَرَ)** لأن هذا أمر الله، وأمر الله لا بد آي، لما افتتح ربنا -جل جلاله- سورة النحل، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَمْ تَرَ أَنَّى أَعْرَزَ اللَّهُ فُلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۖ سُبْحٰنَهُ ۖ وَتَعٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (1)

(سورة النحل)

(أَتَيْ) في الماضي، (فَلَا تَسْتَعْلِوهُ) معنى هذا لم يأت، (أَتَيْتُ أُمَّرٌ لِلَّهِ فَلَا تَسْتَعْلِوهُ) كيف لا نستعجل أمر الله وقد أتى وانتهى الأمر؟! هو لم يأت هو سيأتي لكن ربنا -عز وجل- يعبر عن الأشياء التي وقوعها حتمي بصيغة الماضي، لا يقول: (سيأتي) أتى وانتهى، لأنه وعد من الله ووعد الله أتى لامحالة، فقال: (أَتَيْتُ أُمَّرٌ لِلَّهِ فَلَا تَسْتَعْلِوهُ) هذه أول آية من النحل، وفي الآخر: (فَصَبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ)

إن أمر الله أت، وعد الله حق وهو آتٍ لا محالة (أَتَيْتُ أُمَّرٌ لِلَّهِ فَلَا تَسْتَعْلِوهُ)، فإذا أمر الله -عز وجل-، عندما يكون الأمر من الله فهو آتٍ لا محالة فاستخدم صيغة الماضي، أحياناً للتوضيح والطفرة: شخص نازل بمنحدر ونهايته حفرة عميقة، وبالسيارة صارت السرعة مئة بالمنحدر أو 120-140، واكتشف أنه لا يوجد مكابح نهائياً، فهل يقول: سموت أم يقول: متنا؟ يقول: متنا، رحنا فيها، لا يقول: سنروح فيها، يقول: رحنا فيها؛ لأنه صار أمرًا محتبًا بقي ثوان، لا يوجد حل كيف ستقف السيارة؟ لا يوجد شيء، فعندما يوقن الإنسان بشيء أنه واقع يستخدم صيغة الماضي، وربنا -جل جلاله- قال: (أَتَيْتُ أُمَّرٌ لِلَّهِ فَلَا تَسْتَعْلِوهُ) لكن اصبروا، لكنه أتى، مجيئه حتمي.

فقال: (إِنِّي لَأُبْصِرُ فَضُورَهَا الْخُزْرَى مِنْ مَكَانِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ وَصَرَبْتُ أُخْرَى فَكَسَّرْتُ ثَلْتِ الْخَجْرِ، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيبْتُ مَقَابِيحَ فَارِسٍ) أصبحنا بعصور سيدنا عمر بن الخطاب (وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ وَأُبْصِرُ فَضْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، وَصَرَبْتُ صَرْبَةً أُخْرَى فَقَلَعْتُ بَقِيَّةَ الْخَجْرِ فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ! أُعْطِيبْتُ مَقَابِيحَ الْيَمَنِ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَنْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا) فالنبي -صلى الله عليه وسلم- كان متفانلاً، كان يستشرف في أشد لحظات الضعف أقوى لحظات التمكين لأنه مع الله، ومن كان مع الله كان الله معه، أنت فقط كن مع الله تستشرف التمكين، أما عندما يشعر الإنسان نفسه وحيداً يستشعر لحظات الضعف فقط، "أنا وحيد لا نستطيع أن نعمل شيئاً، الوضع صعب، الأمم متكالبه علينا، قد جمعوا لنا".

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173)
فَاتَّقُوا اللَّهَ يَنْعَمَ عَلَيْكُمْ وَرِضْوَانًا مِّنَ اللَّهِ وَكُلُوا وَشَرِبُوا وَلَا تُخْضِعُوا لِمَنْ يُكْفِرُ بِاللَّهِ إِنَّهُ كَانَ مَكِيدًا (174)

(سورة آل عمران)

لأنهم استشعروا معية الله، سئل أحد الصالحين: كيف أنجو من سهام القدر-مصائب تأتي-؟ قال له: كن بجوار الرامي تتجو، قف مع الرامي الذي يرمي، فسهام القدر كلها يرميها المولى -جل جلاله-.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَلَمْ تَقُولُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلََاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (17)

(سورة الأنفال)

فهو الذي يرمي -جل جلاله- فأنت كن معه ولا تبالي لأنك بجواره -جل جلاله-، فمهما رمى فهي لن تصيبك.

بذور التمكين دائماً تكون في أشد ساعات الحلكة:

فإذا أيها الكرام نحن اليوم فيما يجري في غزة، وفي فلسطين الحبيبة ربما تكون من أشد ساعات الليل حلكة وهي ما يسبق بزوغ الفجر، ما يجريه الله تعالى اليوم لا نستطيع أن ندريه، ولكن عندما ندركه أو يدركه أولادنا سنحز لله سجدًا، وستصبح هذه الرواية تضاف إلى تلك الروايات، هل تتذكرون كيف؟! حتى النبي -صلى الله عليه وسلم- ورد ببعض السبب أنه كان عندما نزل في خيف بني كنانة عندما رجع كان يستذكر مع أصحابه أيام الحصار في الشعب، الحصار في الشعب ما كان هناك تمكين، لا يوجد طعام وشراب، أكلوا أوراق الشجر حتى إن صبيانهم ليتضاغون من الجوع، يسمعون بكاءهم خارج الشعب وما يطعمونهم، ثلاث سنوات في حصار الشعب، لكن -النبي صلى الله عليه وسلم- عندما رجع إلى مكة فاتحًا كان يستذكر فنزل بخيف بني كنانة، من هنا كان مبدأ النصر والتمكين، ثلاث عشرة سنة غيبنا ورجعنا، فالآن ما يجري في الأرض المحتلة وفي غزة العزة لعله مبدأ التمكين، وهذا ما نحسبه لأنه خطوة على الطريق -إن شاء الله- ولعلها اقتربت -إن شاء الله-، لكن نحن لا ندرك تمامًا ما الذي يجري؛ لأن عقولنا قاصرة عن إدراك المرامي لأنه ليس لنا علم كعلم الله، ولا نستطيع أن ندرك حكمته إلا إن ملكت علمه وهذا مستحيل، أيضًا من الأمثلة على هذا الذي أقوله، الفكرة التي أحوم حولها اليوم هي أن بذور التمكين دائماً تكون في أشد ساعات الحلكة وأشد الساعات صعوبة، تكون منها بذور التمكين في الأرض، من ذلك ما تلوناه في اللقاء السابق:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوْا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5) وَنُكِنُّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ (6)

(سورة القصص)

بذور التمكين في الأرض لموسى-عليه السلام:-

بعدها مباشرة قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمُّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا حَفَّتْ عَلَيْهِ قَالِقِيهِ فِي لَيْلٍ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَأَوْنَاهُ إِلَيْكَ ۖ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7)

(سورة القصص)

وبعدا كم سنة؟ أربعون وأكثر حتى ذهب عند شعيب ورجع؛ قصة حياة، لكن وهو طفل رضيع بدأ التمكين (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ) بدأ من هذه اللحظة، لكن الناظر للمشهد الواقف على شاطئ النهر ويرى طفلاً لا يقوى على شيء موضوع بتابوت ويمشي لا يرى تمكيناً في ذلك يرى قيمة الاستضعاف، من خوفهم على أولادهم أصبحوا يلقونهم في الأنهار قمة الاستضعاف، والله تعالى يقول: (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمُّ مُوسَىٰ) بدأ التمكين الذي يعدنا الله تعالى به (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمُّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ)، قالوا: هذه الآية فيها أمران، ونهيان، وخبران، وبشارتان ففيها ثمانية أشياء:

(وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمُّ مُوسَىٰ) خير، (أَنْ أَرْضِعِيهِ) أمر، (فَإِذَا حَفَّتْ عَلَيْهِ) خبر ثانٍ، (قَالِقِيهِ فِي لَيْلٍ) الأمر، (وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي) نهيان، (إِنَّا رَأَوْنَاهُ إِلَيْكَ ۖ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) بشارتان، آية واحدة فيها خبران وأمران ونهيان وبشارتان، فأمرها ألا تخاف وألا تحزن وهي في أشد ساعات العسرة، وبشرها بشيئين: موسى سيرجع وليس ذلك فحسب -ما ليس ببالك في الحسبان-، وسيكون مرسلًا من الله تعالى وأمرها أن تلقيه وأن ترضعه، أرضعيه وألقيه في اليم (فَإِذَا حَفَّتْ عَلَيْهِ قَالِقِيهِ) أي إنسان منا يتصور: إذا حفت عليه فاحضنيه، إذا حفت عليه فخبئيه، إذا حفت عليه فاحجزه عن فرعون وملئه، إذا حفت عليه فسافر به، قال: (فَإِذَا حَفَّتْ عَلَيْهِ قَالِقِيهِ فِي لَيْلٍ)، إذا كان احتمال النجاة 1% صار 10%، إذا كان هناك احتمال ينجو من فرعون 10% الآن لم يعد لدي احتمال نهائيًا، وضعته في الموت بيدي، ومن هنا بدأت بذور التمكين ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

بذور التمكين في الأرض ليوسف-عليه السلام:-

يوسف -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام- لما وُضع في الجب قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ ۖ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبٍ ۖ لُجْبٍ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15)

(سورة يوسف)

في هذه اللحظة (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) 22 سنة، ببعض الروايات 38، ببعض الروايات 80 سنة، ببعض الروايات غاب عن أبيه الله أعلم لكن عشرات السنين أكيد لأنه في السجن لبث بضع سنين من سبعة إلى عشرة، و حتى كبر وصار عزيز مصر... سنوات، عشرات السنين غاب ثم قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَآ فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَشْمُ جُهِلُونَ (89)

(سورة يوسف)

أنبأهم بأمرهم هذا، من لحظة الوضع في الجب كانت لحظة ضعف واستضعاف، طفل صغير لا يقوى على شيء يأتي به إخوته غيرة وحسدًا ويلقونه في غيابت الجب، وفي تلك اللحظة كان الله تعالى يهين يوسف ليكون عزيز مصر وليكون نبيًا مرسلًا منه، ويقول: (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)، (لَتُنَبِّئَهُمْ) هذه لام القسم أي: أقسم لتنبئهم، سيأتي اليوم الذي تقول لهم: هل تتذكرون ما عملتم؟ وهم عند إلقائه بالجب غالبًا إما موت أو استعباد أو الله أعلم أين يكون بعد ذلك وانتهوا منه إلى أبد الأبد، والله تعالى يهينه لأمر آخر، هذه كلها أمثلة توضح أن بذور التمكين وبذور النصر كامنة في العسر دائمًا، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6)

(سورة الشرح)

ما قال: أن بعد العسر يسرًا، نعم في آية أخرى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَتْهُ ۗ اللَّهُ لَا يَكْفُلُ ۗ اللَّهُ تَنْفُسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۗ سَيَجْعَلُ ۗ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ
يُسْرًا (7)

(سورة الطلاق)

لكن في هذه الآية قال: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) لماذا قال: مع؟ قال: لأن بذور اليسر دائمًا كامنة في العسر، فالعسر واليسر يأتيان معًا، ولكنك قد ترى العسر ويغيب عنك اليسر، إلا أن اليسر في العسر دائمًا هكذا سنة الحياة.

ليست الحكمة بانشغالنا بوقت التمكين بل بالإعداد لهذا التمكين:

أحبابنا الكرام؛ المحصلة في هذا الموضوع ما دام الوعد حقًا، ومادام النصر آتيًا، ومادام التمكين متحققًا، إذا ليس من الحكمة أن نشغل أنفسنا بوقته لأن الوقت يعلم الله -عز وجل- لكن الحكمة تقتضي أن نشغل أنفسنا فيما نحن عليه من جندية لهذا التمكين أو عدم جندية لهذا التمكين، فالحكمة دائمًا ليس أن تقول: متى الامتحان؟ وإنما تقول: ماذا أعددت لهذا الامتحان؟ وهذا ما فعله عليه -صلى الله عليه وسلم- مع الصحابي الذي سأل:

{ مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَعَدَدْتُ لَهَا؟ قَالَ: مَا أَعَدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرٍ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ، قَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أُحِبُّتَ. }

(أخرجه البخاري ومسلم باختلاف يسير عن أنس بن مالك)

وإن سأل سائل: متى التمكين؟ نقول له: وماذا أعددت له؟ وإن قال: متى نصر الله؟ فنقول له: هل أنت ممن قدّم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (7)

(سورة محمد)

بطاعته وفضله أم أنت تنتظر النصر من أجل أن تأكل حلويات النصر؟! لا، فدائمًا ينبغي أننا نشغل أنفسنا فيما نحن عليه، اليوم قد يقول قائل: وماذا أفعل؟ نعم، أنا معكم في أنهم قد حددوا خيارًا جيدًا، ولكن لا ينبغي أن نصنع الموجود في طلب المفقود.

العمل على التمكين يكون بكل ما يستطيعه المؤمن وما هو قادر عليه:

ابن الجوزي-رحمه الله- له كتاب اسمه (تلييس إبليس) يبين فيه كيف يلئس إبليس على الناس، وعلى العلماء، وعلى المفتين، وعلى الأمراء، وعلى السلاطين، وعلى العوام، وعلى النساء، له فصول، رتبته في فصول، من تلييس إبليس على بعض الناس أنه يزهدهم فيما هم عليه قادرين، وبطمعهم فيما هم عليه ليسوا الآن بقادرين، بطمعه بشيء لا يستطيعه ويزهده بشيء يستطيعه، فإذا كان يستطيع أن ينفق ماله يقول له: أين أنت من المال؟ انظر إلى من يقدم نفسه، حسنا معي مال الآن دعني أنفي، أنا لست قادرًا الآن أن أقدم نفسي لكنني قادر أن أقدم مالي فدعني أقدم ما أستطيعه؛ يزهد، فتقول له مثلًا: اتق الله، يقول لك: الآن ليس وقت هذا الوعد، الآن ممكن مثلًا أن تقوم بيت على الفيسبوك إذا تكلمت عن قضايا متعلقة بالأخلاق، بالقيم، بالأسرة يقول لك بعض الناس: هذا ليس وقته يا أخي، ألا ترى المسلمين ماذا يحصل لهم؟! حسنا أنا أرى المسلمين ماذا يحصل لهم، لكن أيضًا أرى أنه ينبغي أن أفعل شيئًا قادر أنا عليه وضمن إمكانتي وضمن وسعي وأنا مقصّر فيه، اليوم لا يُقبل -هو مضي رأس السنة- ما يُقبل من مسلم أن يكون حزينًا على ما يجري لأهل غزة ثم يقيم الاحتفالات ويدفع تكاليف باهظة ليحيي رأس السنة ليست من ثقافتنا ولا من ديننا ما يُقبل ذلك صراحةً، ما يُقبل من إنسان أن يقول: أنا مع غزة ومع أهل غزة وهو يربي أولاده علي غير منهج الله تعالى، ولا يعظهم ولا يذكرهم بالله تعالى، نقول له: على العين والرأس، عواطفك تلك نضعها على عيننا ورأسنا ولكن هل أنت تسعى لخدمة دين الله -عز وجل- أم أنت مقصّر في ذلك؟ اليوم مدارسنا معاهدنا التي ما تزال إلى اليوم يتسرب إليها الأفكار الهدامة، مؤسساتنا التي يتسرب إليها الأفكار النسوية حيا والجنردة حيا آخر والشذوذ حيا نالنا باسم متألق وندعمها من غير أن نشعر، ما يُقبل من إنسان اليوم أن يقول: أنا مع غزة ومع أهل غزة، وأنا غير قادر أن أقدم شيئًا، وهو ما يزال مقصّرًا في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) ما معنى (إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ)؟ ننصره بطاعتنا له، ننصره بتقوانا له -عز وجل-، ننصره بإقامة شرعه في مملكتنا التي نملكها، ضمن العمل ألا يستطيع أحدنا أن يملك بيته؟ يملكه، يستطيع أن يأمر أهله بالصلاة أم لا؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَاللَّهُ يَتَّقِي ۗ (132)

يستطيع أن يوقظهم لصلاة الفجر أم لا يستطيع؟! يستطيع أن يؤدي ما استطاع من الصلوات في جماعة أم لا يستطيع؟! يستطيع أن يأمر بناته بالحجاب أم لا يستطيع؟! يستطيع في عمله المملكة الثانية، مملكتك الأولى بينك الثانية عملك، يستطيع أن يقيم أمر الله في عمله فلا يأخذ قرصًا رويًا أم لا يستطيع؟! يستطيع أن ينصف عماله أم لا يستطيع؟! يستطيع أن يعدل بينهم أم لا يستطيع؟! الموظف الحكومي يستطيع أن يهين لمراجعيه أسباب الراحة أم يرهقهم بما لا يحتاجونه من أجل أن يذهب أوقاتهم ويقضي وقته دون عمل، الطبيب، المحامي كل في موقعه، هذا الكلام قد يبدو للبعض أو يقول البعض: ليس وقته، لا والله هذا وقته، وقته في وقت الأزمات من أجل أن تتفاعل أكثر أن نقيم أمر الله تعالى فيما نملك، وهذا لا يعني أننا تخلينا عن الأمور التي لا نملكها الآن تمامًا أو نملك بعضها، لا يوجد إنسان حتى بالوضع العادي لا يملك شيئًا، الذي يملك المال، الذي يملك سلاح المقاطعة، الذي يملك الدعاء، كل إنسان بما يستطيع، ربنا-عز وجل-قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُنْفِقُ دُونَ سَعْيِهِ مَن سَعَيْهِ ۖ وَمَن فُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ۖ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ۚ لَا يَكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآءَاتَهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ ۖ يُسْرًا (7)

(سورة الطلاق)

ربنا سبحانه على ما آتاك إياه، أنا ربنا-عز وجل-ماذا آتاني؟ آتاني مالا سبحانه على ما قدمته من مال، فإذا قلت له: يا ربي أنتيني مالا لكن أنا اتجهت للدعاء وجدته أسير، لا يصح، أنت صاحب مال عندك بالمجتمع خدمات كبيرة تقدمها للناس، عندك معالجة مرضى، عندك رعاية أيتام، عندك... إلخ، فانت ماذا قدمت بمالك؟ لكن المستضعف الذي لا يقوى على شيء نقول له: باب السماء مفتوح، والأول طبعًا يدعو لكن لا يُقبل الدعاء وحده لمن يستطيع أن يقدم معه شيئًا، الدعاء كلنا-إن شاء الله-نفعله لكن كل إنسان بما آتاه الله جاه، علم، خبرة، كلمة طيبة، كلمة في مجلس، اليوم يوجد البعض الله-عز وجل-آتاهم منطلقًا وكلامًا لكن أثروا الصمت، والعياد بالله جزء آخر لم يؤثر الصمت أثر التخذيل والتخوين والوقوف مع المعتدي والظالم بحجة أن المظلوم أخطأ بزعمه، يا أخي ولو كان أخطأ المظلوم فهل تقف مع الظالم؟! فإذا اليوم الموطن موطن عمل كل بما يستطيعه نصره لله تعالى فكل منا ينصر الله تعالى بما يستطيعه وبما يقدمه، إذا بدل أن نسأل دائمًا: متى التمكين؟ متى النصر؟ يكون السؤال دائمًا: أين موقعنا من النصر؟ ماذا نحن فاعلون؟ ماذا يمكن أن نقدم؟ وكل منا لديه ما يقدمه وفق طاقته ووفق وسعه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا يَكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا كَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَغُفَّ عَنَّا وَعُظُّوا لَنَا وَرَحِمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286)

(سورة البقرة)

(لَا يَكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآءَاتَهَا) هاتان الآيتان عمدة في تكليف الإنسان بأصول الدين، لكن دائمًا نحن نقول واحدة وننسى الثانية، نقول: (لَا يَكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) والبعض يحتج بها على ترك العمل بمعنى أنه ليس من وسعي، فنقول له: الوسع يقدره الله وليس أنت، فإذا قلت له: لماذا لا تغض بصرك؟ فقال: يا أخي (لَا يَكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) نقول له: مادام الله كلفك بعض البصر فهو ضمن وسعك، لو لم يكن ضمن وسعك لما كلفك به، هذا وسع، فالوسع ليس أنت من تقدره وإنما الله تعالى، فضم إليها الآية الثانية (لَا يَكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآءَاتَهَا) أي لا يكلف الله نفسًا إلا بمقدار ما آتاه من العطاء، فكل إنسان يوم القيامة له حساب عند ربه، كل واحد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ وَتَرَكْتُمْ مَآ خَوَّلْتُمْ وِرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۚ وَمَا تَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَؤُا ۚ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَٰ عَنكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (94)

(سورة الأنعام)

لأنه عدل ربنا-جل جلاله- لأن كل واحد أوتي غير ما أوتي الثاني، نحن اليوم بالدولة الموظفون في كل الدول لهم مراتب فيقولون: هذا بالمرتبة الخامسة، الرابعة، الثالثة، الثانية، الأولى، يترفع وخامسة أ، وخامسة ب، وخامسة ج، وهكذا يدرجونهم بعشرين بنداً أكثر شيء يعطوهم رواتب، فيكون كل المليون موظف قد نزلوا في عشرة بنود أو عشرين بنداً، عند ربنا-عز وجل-:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلِكُلِّ دَرَجَةٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۖ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (132)

(سورة الأنعام)

كل واحد له مرتبة عند ربنا-عز وجل- متعلقة بما آتاه الله وبما أعطى مما آتاه الله، فكل واحد له درجة عند الله -عز وجل-؛ هذا معنى فرادى (جِنْتُمُونَا فُرْدَى) لأن ربنا-عز وجل- عدل، والعدل لا يحاسب نفس الحساب لائنين؛ لا يوجد عند ربنا-عز وجل- مثل أستاذ المدرسة يغضب- حاشاه جل جلاله -فلا يعرف من الذي أخطأ فيقول لهم: كلكم معاقبون، أو كلكم اكتبوا الدرس عشر مرات، ربنا -عز وجل- عدل -جل جلاله- فيحاسب كل نفس بما آتاه وبما قدمت (وَلِكُلِّ دَرَجَةٌ مِّمَّا عَمِلُوا)، هذا والله أجل وأعلم، والحمد لله رب العالمين.

نور الدين الاسلامي